

الفقارة ونظمها الوصمية بين الوظيفة والتوظيف
دراسة أنثروبولوجية اجتماعية للسلم البنائي - مجتمع أدرار أنموذجا
Feggara and its stigmatic systems Between job and employment
An anthropological social study of structural ladder
Adrar community as a model

مقدم مبروك *

جامعة التكوين المتواصل فرع وهران (الجزائر)

mebroukmekadem@yahoo.fr

ملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)	معلومات المقال
في المجتمع أفراد وجماعات يتنافسون على الموارد النادرة ذات القيمة الثروة/القوة/الجاه/الاعتبار لعب الأدوار لبناء المكانة. فالمجتمع يعيش حالة تغير دائمة في حين تتباين درجة التغير وتتسارع بين بنياته الاجتماعية/المادية /الثقافية/الهيدرولوجية، فمن يملك القوة يهيمن لتشكيل إنتاج وإعادة إنتاج إيديولوجية المجتمع وضبط القواعد السلوكية، بما يسمح له إعادة تشكيل الواقع بما يتفق ومصالحه، للسيطرة على وسائل الإنتاج والمؤسسات المنفذة المرتبطة بصياغة الأفكار. في مقابل هذا الواقع الثنائي يحاول الخاضعون كسب القوة لتغيير وضعهم بطرق سليمة أو بالعنف. ومالكو السلطة يحاولون بكل الوسائل بقاء الوضع على ما هو عليه لحفظ مكتسباتهم. قسمت الدراسة لمحورين: *المحور الأول: تحت عنوان: الفقارة في المنظور العالمي والوطني.	تاريخ الإرسال: 2023/04/01 تاريخ القبول: 2024/01/07 الكلمات المفتاحية: ✓ الفقارة ✓ الخماسة ✓ الخراصة ✓ المثلثة ✓ الوصم ✓ البنية
Abstract: (not more than 10 Lines)	Article info
<i>In society, individuals and groups compete for scarce resources of value, wealth/power/bearing/consideration have played only a role to build standing. Society lives a state of change, while the degree of change varies and accelerates between its social/physical/hydrological structures, who has power dominates the formation of Products of society and regulates behavioral rules, allowing it to shape reality in accordance with its interests, to control the Implementing institutions associated with formulating ideas. In exchange for this second reality, those who are subjected to power try to change their position in proper ways and violence. And the power owners are trying to keep the situation as it is to keep their gains. The study was divided into two axes: The axis: Under the theme: "The Successful of the Global and National Perspective." The second axis: The structures of society are only Drari.</i>	Received Accepted Keywords: ✓ Feggara ✓ khemassa ✓ kherassa ✓ mthalatha ✓ stigm

مقدمة:

تمتاز ولاية أدرار بنظام تقليدي لتوزيع المياه الفلاحية (توات/قورارة /تيديكلت). فمنطقة توات تقسم لقسمين: علوية وسفلية. استفادت الجهة السفلية لوادي المسعود بانخفاض السهل ما سمح بالوصول للمياه الباطنية. والمنطقة الثانية تيديكلت تقع فوق هضبة (تدمابت) ممول رئيسي الفقارة والآبار الإرتوازية لسطح عزي. بينما المنطقة الثالثة قورارة تقع على بحيرات مائية ناتجة عن الترسبات القديمة ترجع للزمن الرابع، ونتيجة للانكسارات الطبيعية نتج عن هذه المياه أحواض مائية وجدت على عمقين مختلفين:

الحوض الأول: يسمى (كنتوننتال إنتركليز) يغطي أغلب مناطق الولاية يوازي خط الجريد الشرقي، ليطفو في بعض المناطق على السطح (منطقة توات) ثم يبدأ في العمق نحو الشمال الشرقي مابين 200 إلى 1300م بتقترت وإلى 2600م ببسكرة.

***الحوض الثاني:** يسمى (كومبليوس منال)، يغطي الحوض معظم بلديات (تيميمون/أوقروت/لمطارفة/أمقيدن/تتركوك/وقروت/تسابيت/اسبع/روين/بودة). يقدر العلماء منسوب المياه الباطنية لهذين الحوضين بـ(200م³/ث) يكفي لمدة 10.000 سنة.

لقد سهل توفير المياه الباطنية على الإنسان القديم بالمناطق الثلاثة استخلاص الكيفية المثلى لاستغلاله بعيدا عن الوسائل السابقة، ما يفسر العدد الهائل من الفقاير 900 فقارة حسب إحصاء 1945م من طرف القوات الاستعمارية. فالكمية الهائلة من المياه المغمورة تحت الكثبان الرملية (الالبام) تشترك فيها (مصر/ ليبيا/ تونس/ الجزائر) حسب دراسة المنظمة العالمية للتغذية والزراعة (الفاوسنة 1973) هذا الترابط المائي القائم أدى (لوحة هيدرولوجية قديمة) والترابط يبدو جليا بارتفاع وهبوط منسوب مياه الفقارة صيفا وشتاء متأثرا بسقوط كميات الأمطار في الشمال واستتعال جائحة الجفاف بالجهة الغربية والشرقية والشمالية. كما أن امتلاء الأودية الداخلية وخاصة وادي (جير) أو الساوره يؤثر على ارتفاع وهبوط منسوب مياه الفقاير. والسؤال المطروح: هل وفرة المياه كانت السبب في استخلاص وسيلة الفقارة وبناء القصور؟ وهل لوفرة اليد العاملة المستقدمة من دول الساحل دور في حفر أكبر عدد من الفقاير؟ وهل الوسيلة مستخلصة محليا عن استخلاصات سابقة عنها؟ سوف نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة في المبحث الأول. والإجابة على مجموعة الأسئلة العالقة في المجتمع منها هل سبقت الفقارة نظم ري قبلها؟، وما الحافز في كثرة عددها، ولماذا تكثر

في منطقة وتقل في أخرى، وما الدور الذي لعبه المجلوبون من دول الساحل في حفرها؟ وما دور المجلوبون في رفع وانخفاض منسوب مياه الفقارة؟ وهل سبقت القصر أو القصر أولا وفق القاعدة العرفية (الماء يأتي من القبلة).

1.1. الإشكالية: رغم دخول مجتمع الدراسة الألفية الثالثة لما تزال وسيلة الفقارة تحظى بقبالية مجتمعية، برغم أنها إحدى الحواضن الأساسية للفكر التراتبي بالمجتمع ومصدر العنف الرمزي نحو الأفراد والجماعات إنتاج وإعادة إنتاج، فمن أين اكتسبت هذا الاهتمام والتعاطف، وبناء عناصر المكانة ولعب الأدوار باستخلاص المجتمع لقواعد جديدة. قد يعود ذلك لربط مسارات تفاعلاتها بالخطاب الديني وتعايشه، ما مكنها من مواصلة دعم الدولة للحفاظ عليها كموروث شعبي ثقافي يفعل لشريحة ملاك المياه والعقار الفلاحي فتدخل المجتمع لتفعيل العلاقة الكامنة بين مالكي مياه الفقارة، والخماسين والخراسين؟ فهل للقيد الواحي دور في تفعيل نظام الفقارة؟. أو عجز الوسائل المعتمدة عن تلبية حاجات المجتمع الأساسية؟ وكيف تم التوصل لوسيلة الفقارة؟ وكيف تفاعل الخطاب الديني المحلي بربط قواعد بيع وشراء ماء الفقارة بقواعد تقسيم التركة للمتوفين؟.

السؤال الافتتاحي: كيف وظّف المجتمع وسيلة الفقارة لبناء تعددية ثنائية عرقية على أساس ملكية مياه الفقارة/العقار الفلاحي/الجاه/النسل المقدس/رأس المال الثقافي /المكانة فابتنى تراتبيا من فئات اجتماعية/مادية /اقتصادية /هيدرولوجية.

2.1. الفرضيات: الفرضية الأولى: ما دافعية بقاء نظم الفقارة موظفة اجتماعيا/دينيا/ هيدرولوجيا بالمجتمع؟.

الفرضية الثانية: هل الفقارة مستخلص محلي، أو تطور لنظم ووسائل سابقة عنها؟.

الفرضية الثالثة: تركز نظم الفقارة مظاهر الوصم، الدونية، التهميش، الإقصاء بالمجتمع.

2. المحور الأول: الفقارة في المنظور العالمي والوطني بين الوظيفة والتوظيف

1. لقد كانت قوافل العراق، الأردن، سوريا، الجزيرة العربية، ومصر معبرا تاريخيا للتجارة العابرة نحو المناطق الأدرارية في القرون الماضية، فتأثر السكان وتعلموا من أصحاب القوافل هندسة جر المياه الباطنية. فلقد شهد العراق حول نهري دجلة والفرات آلاف القنوات للري بجنوب بابل وللشرب بالشمال (مبروك مقدم، 1989، ص 3-5).

الجدول 1: يمثل الأسماء المتداولة للفقارة عالميا

الرقم	البلد	التسمية	مكان الاستغلال
1	الجزائر	الفقارة	توات/ قورارة / تديكلت
2	المغرب	الخطارة	مراكش، درعة، تفلالت، فيقيق
3	تونس	انقولا - خريقا	المنشبة/القصار
4	السعودية	الخيف/الشراج/السرب/الكظمة	المدينة المنورة
5	عمان	الفلج	عومان
6	سوريا	الاقنية	حلب
7	العراق	الكهريز	العراق
8	أفغانستان	خيراس	أفغانستان
9	إيران	قناة	إيران
10	إيطاليا	انقريطاطي	إيطاليا
11	اليمن	صهريج	اليمن

المصدر: محمد علي زرقة، 1999، ص 50

ولتوضيح الدلالات التاريخية لأهمية الفقارة من الناحية الوظيفية والتوظيفية، أجرى الفرنسيون إحصاء المياه المتدفقة من وسيلة الفقارة سنة 1932م وكانت النتائج حسب المناطق: 1 بلغ منسوب فقارات إقليم توات: 109.940 ل/د أي 1.8 م³/ث. 2 وبلغ منسوب فقارات قورارة 50.000 ل/د أي 0.83 م³/ث. 3 وبلغ منسوب فقارات تيديكلت 34.675 ل/د أي 0.58 م³/ث. 2. وكانت سوريا مسرحا للقنوات الرومانية عام (300م) التي تملأ المرتفعات ببعضها وتنتهي لصهاريج حجرية داخل قلاع، حصون، مساح مراكز استراحة على طريق رحلتهم لحوار مزارع الرومان من القمح (مجلة الخفجي، 1986، ص 8). 3. وبإيران (القناة) تمثل ما وصل إليه الفرس قديما، فمدينة طهران كانت مسقية بـ 35 قناة، والقناة الجوفية تأخذ اسم قناة أو (خاز) (مختار باديس، 1986، ص 23).

4. بمصر نجد (الترعة)، نافذة تفتح على ضفة نهر النيل لغرض رفع المياه من الأماكن المنخفضة للأماكن المرتفعة وغمرها بالطمي الغني بالمواد العضوية.

. بالهند نجد (الشادوف) يقام لجر الماء لأماكن وعرة كمحدرات الهضاب والوديان.

6. وبالسودان (الساقية) تشبه الترعة بمصر والجنوب الصيني والساقية أداة فارسية الأصل انتشرت في مصر أثناء العهد الهليني، ومنه دخلت شمال السودان، وقد غيرت أسلوب الحياة بهذه المنطقة سخرها الفلاح السوداني لجر الماء لأحواض وأماكن منخفضة تقع بين النيل والأراضي المرتفعة.

7. خاصيات ومميزات (الفقارة) التواتية: تختلف عن هذه الوسائل على المستوى الوطني والخارجي تختلف بطريقة الحفر تحت الأرض أحيانا في الصخور الصماء. وبطريقة تقسيم مياهها. وملكية الماء قبل ملكية الأرض (الأرض سبية). وهذا ما تؤكد القاعدة العرفية (الماء قبل الأرض، والرق مد العين). تتلقاها الإمدادات عن طريق الوديان الباطنية والمياه المغمورة تحت الأرض وتحت الكثبان الرملية (العروق المائية) التي كانت في الأصل عبارة عن بحيرات مائية. والفقارة تختلف عن الشراج السعودي فالشراج يتلقى امتداداته من آبار جمعت مياهها وزعت على البساتين خلاف الفقارة تتلقى المياه من الحوض الباطني (هضبة تدميات والنهرين المائيين الجوفيين المشار لهما سابقا).

8. بالمغرب (الخطارة)، لا تشبه فقارة توات إلا بجمع المياه بحوض وساقية تتلقى امتدادتها من مياه سائلة من الجبال نتيجة ذوبان مياه الثلوج، تصبح ساقية لتوصل بالأحواض (الماء في تاريخ المغرب، 1999، ص80).

أولاً: الفقارة لغة: 1. يقال (فقاً) وتفقأت السحابة عن مائها تشققت. 2. ويقال: تفقأت البهي: إذا تشققت لفائفها عن ثمارها، وتفقأت: الدم بالقرح، ومنه فقأت عينه فقاً، وفقأتها تقيئة إذ نجفت أي عورتها (الجوهري أبو إسماعيل، 2001، ص52) وقيل جاءت من الفقرة، فقرات النخاع الشوكي كونها تشبهه. 3. وقيل جاءت من تسمية سيف الرسول "صلعم" (ذو الفقار) كونه يحتوي فوق ظهره حفريات لتزينه. والشبه واضح بينهما. كما حورت من فقارة بالقاف إلى "ثاف" غير معجمة ليسهل النطق بها بلسان عربي لعدم وجود (ثاف) فوقه ثلاث نقاط في العربية. 4. ويقال للرجل فقير: يشتكي فقاره بفتح الفاء، والفقارة الداهمة، يقال فقرته الفقارة أي كسرت ظهره. وفقرت: أنف البعير إذا حرزته بحديده (الخزيمه) ثم جعلته الوجهة التي نريد (جر الكل من الجزء) كما نفعل بالماء بالماجن. 5. والفقير: هو مخرج الماء من القناة

وهو ما يطلق عليه عندنا بالقصري أو المشط المصنوع من حجرة التافرة. أو (أنفيف) مخرج ماء (الماجن) حوض التخزين. 6. والفقير: فقير يحفر لغرس الفسيلة لجمع الماء كما بوادي ريغ، ووادي سوف، وجامعة، ووارقة.

الفقارة اصطلاحاً: لقد اختلف الكتاب محليين وأجانب في الوصول لتعريف دقيق للفقارة. ويتعدده يمكننا أن نستخلص التعريف القريب والذي نراه من واقعنا المعيش، نجمه في شكل آراء فرق حاولت الاستدلال والتدليل على فحواها العملي والعلمي.

ثانياً: الاختلافات حول التسمية والتعريف: لقد تم ضبطها في شكل آراء لفرق متعددة:

الفريق الأول: يرى أن كلمة فقارة مركبة من كلمتين هما (فوق) أي أعلى، وهو ما يشير لقدمها من أعلى (الأم) لأسفل القصري وكلمة (قارة) تعني الارتفاع لأنها كإشارة تحدد معلوماً معيناً به يتم التحديد والتوضيح. فهي علامة وإشارة، كما يشير "دي سوسير" لمفهومي (الدال والمدلول). يحتفي الأطفال عندنا بلعبة تسمى (لعبة الشارة) حيث يضعون معلماً على مرتفع ثم يحسبون عشرة خطوات للخلف فيأخذ كل طفل حجرتين بيده، ثم يقيس على (الشارة) يكون رابحاً إذا أسقطها بالضربة الأولى، وإذا لم يصب يلعب غيره.

الفريق الثاني: يرى الفقارة جاءت من كلمة فجارة لأن العربية لا تحتوي على (الثاف) قال تعالى: "وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ" (القمر: 12).

الفريق الثالث: يرى جاءت من الفقر فكل من أراد إضافة (كراخ) لمياها يصاب بالفقر، لأنها فاقرة، قد يصيب وقد يخسر، بنيت على الظن والمخاطرة، لإنفاقه ماله لجلب المياه، وأحياناً يقوم بالاقتراض لإكمال ما تم الاتفاق عليه. فعندما يجري الماء على وجه الأرض يصبح من أصحاب المياه بالفقارة قد ينقل من فئة لأخرى، والماء المجلوب ينتصف نصفين بينه وبين أصحاب الفقارة. فهذه هي المخاطرة المستغنية الماء الجديد يمثل (حبات الزريق).

الفريق الرابع: يرى اشتقاق كلمة فقارة من سلسلة العمود الفقري للإنسان لحصول التشابه بينهما. فالرأس يمثل الأم، وسلسلة العمود الفقري تشبه الآبار المتسلسلة، واليدان يشبهان الأكرع التي يضيفها من أراد الدخول في بنك جماعة الفقارة. أما الساقين تشبه "أغسور" في حين مشط الرجل يماثل القصري الكبير الذي يتم منه التوزيع لمالكي حبات الماء. فثمة تماثلية تشابهية بين (الفقارة/النخلة/الإنسان) إذا قطع الرأس لكل منهم مات، وإذا ما قطعت

أطراف أحدهم لا تعوض، وإذا انتهى ما بداخلها من سائل ماتت وهلك (الماء بالفقارة، الحليب بالنخلة، الدم بالإنسان).

الفريق الخامس: يمثله الشيخ عمر المهداوي يقول إن منطقة توات تعرف أسلوباً خاصاً في سقي الأراضي الزراعية لمحدودية المساحات، يطلق على هذا النظام (نظام الفقارات) وسميت الفقارة بهذا الاسم لأن أحد العلماء المشهورين في منطقة توات. يقول كانت في البداية آباراً قليلة ومن أراد أن يزيد فيها آباراً جديدة ربما أفنى ما له كله فيها. وبذلك تكون الفقارة مشتقة من كلمة الفقر. ويرى بعض كبار السن بأنهم سمعوا بوجود تذاكر سفر بالقوارب والمسافة بين تيماندنين ورقان بـ 170 كلم، هذا يشير أن الأودية كانت نشطة في فترة زمنية بمياها قبل أن تجف. وقد يشيرون لمحطات الركوب منها محطة تمنطيط. غير أنه لم يثبت لنا ذلك بسند أو دراسة علمية توثيقه.

الفريق السادس: يتزعمه "عبد الرحمان بن خلدون" يقول: "في هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق، غريبة في استنباط المياه الجارية، لا توجد في تلؤل المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى، وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى الحجارة الصلدة. فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد عليها زبرة الحديد ليكسر طبقتها عند الماء فينبعث صاعدا فيفعم البئر، ثم يجرى على وجه الأرض واديا ويزعمون أن الماء ربما بسرعتة عن كل شيء، وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتتكربين، وواركلة، وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العليم" (**عبد الرحمان بن خلدون، 1996، ص119**). وقال "أبو عبيد"، سألت الأصمعي عنها أي الفقارة وأهل العلم في الحجاز فقالوا هي: "آبار متناسقة تحفر ويباعد بينها، ثم يخرق ما بين كل بئرين بقناة تؤدي من الأدنى إلى الأعلى". وأخيرا تعد الفقارة وسيلة نقل الماء من تحت الأرض لوجهتها فحاجة الفرد للماء ليروي عطشه تقدر ب (5 ل/ث يوم) ولقضاء حاجته ما بين (40-50 ل/ث يوم) ولسقي فلاحته ويلبي حاجات صناعته (1000 ل/ث يوم)، فشق في الأرض جيوبا ليخرج ماؤها، ولكن الماء سلك مسالك منخفضة، وتدفق فوق سطح الأرض (ارتوازيا)، وتراكم الماء بالجلب (سطحي/ جوفي) فدعته الحالة الأخيرة أن يدلي بدلوه، ليخرج ما يسقي حرثه.

الصورة 1: تمثل (الماجن/ الثمامين) حوض تجميع مياه الفقارة بالجنان، تحتوي على أربعة انفيغات في العادة تعتمد لتصريف المياه المخزنة بواسطة (ابادو).



المصدر: موقع ولاية أدرار الإلكتروني، تاريخ التصفح: 11/12/2020

نستنتج بتفحص نظم الفقارة التفاعلات التراتبية في المجتمع كالوصم الاجتماعي الحقرة، التهميش فيتخلو الخماسون والخراسون عنها، لارتباط مفهومي (خماس/خراص) بالدونية والاحتقار، وبما أن العاملين ضمنها ينتمون في الغالب لفئة الحراطين والأحرار. ارتبط مفهوم الخماسة/الخراسة بتحرطنيت وبالوصمية، والاكراهات القنوية، بحسب ما صرح به أحد المبحوثين من أن (نظام الفقارة يمثل أكبر حاضنة للفكر التراتبي الانقسامى بالمجتمع).

الجدول 2: يوضح التغيرات التي حصلت من حيث العدد، وقوة الصبائب (Débit)

الرقم	اسم المنطقة	عدد الفقاقير حية/مية	المنسوب المائي المعطى (Débit) المنسوب المائي حسب كل منطقة
01	توات	564 فقارة	099,2 م ³ /ث
02	قورارة	283 فقارة	007,1 م ³ /ث
03	تيديكلت	62 فقارة	1,580 م ³ /ث
04	لحمادة (تنزروفت)	لا شيء	لا شيء
المجموع	04 مناطق	911 فقارة	688,3 م³/ث

والسؤال الذي يطرح: هل الفقارة سبقت بناء القصر، أو القصر سابقا عنها؟ يلاحظ أن الفقه المحلي لم يتداول ولم يعط أي تفسير منطقي للإجابة عن هذا التساؤل، ففكرة (الماء أولا ثم

القصر أخيراً) تؤكد نشأة القصور بعد الماء، فالقصر بني بطريق القوافل التجارية العابرة للصحراء، فارتبط بناء القصر بوجود بئر ماء عسكر حوله القوافل التجارية ليبنوا بيوت الأمانات، ويضعون عليها قائمون آمنون مؤمنون، كما ارتبطت (ظاهرة استجلاب) اليد العاملة لحفر الفقاير خلال القرنين السابع إلى نهاية القرن الثامن عشر ميلاديين بضعف وقوة صبائب الفقارة (مبروك مقدم، 2016، ص104).

ثالثاً: تساؤلات حول النشأة: تطرح وسيلة الفقارة إشكاليات أساسية حول النشأة والتوظيف، نحاول بهذه الدراسة التقرب ما أمكن للإجابة على الأسئلة التالية:

* هل بدأت عملية الحفر بصفة شاملة أو متقطعة؟

* وهل وجدت قبل بناء القصر أو القصر سابقاً عليها؟

* وهل استخلصت من نظم سابقة عليها بعلاقات زراعية فالحاجة أم الاختراع؟

* وما دور القوافل التجارية في استخلاص هذه الوسيلة دون غيرها؟

* ولماذا يكثر عددها بإقليم توات عن غيره من الأقاليم الأخرى؟

تحتوي منطقة توات على 564 فقارة يقدر منسوبها بـ 2,99 م³/ث. أما منطقة فورارة تحتوي على 283 فقارة يقدر منسوبها بـ 1,007 م³/ث. بينما منطقة تيديكلت تحتوي على 64 فقارة وتعطي منسوباً يقدر بـ 1,580 م³/ث. ليبلغ مجموعها 909 فقارة، بطول رواق تحت الأرض 1700 كلم، هذه المعلومات قديمة. وهناك معطيات تشير لانخفاضها لـ 700 فقارة حية منها 96 ميتة. يقدر حجم منسوب المياه المستخرجة منها 13,67 م³/ث (مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية بأردار، 1985، ص23).

رابعاً: اختلافات الكتاب المحليون حول التعريف: جمعناها في شكل مسلمات.

المسلمة الأولى: تشير أن أقباط مصرهم الذين خطوا الفقارة بتوات، مع الإشارة لعدم ظهور أي دور لهم في هندسة بناء الفقارة، فلم يثبت وجد الأقباط بهذه المناطق وإن رحل بعض الكتاب فكرة هندسة فقارة هنو بطريقة بناء الأهرامات المصرية إسقاطاً لا غير، تمت معاينة ذلك عن طريق الحجاج بكرة، وقد اعتبرت منطقة تمنطيط مركزاً للقوافل القادمة من تلمسان، سجماسة، بغداد، بجاية، الجزائر، ومن جنوب أفريقيا الغربية قاو، تمبكتو، نجيريا، كانو، تلمسان، فاس، الساقية الحمراء وواد الذهب (إسماعيل العربي، 1983، ص50-52).

المسلمة الثانية: ترى للبراكمة دوراً في خط الفقاير بتوات، ولو نظرنا لدخولهم المنطقة لرأيناه حديثاً بالنسبة لأجناس أخرى، فقد كان دخولهم سنة 556هـ/1170م، تدخل هذه المسلمة باب نقص الدقة والتحديد الزمني الدقيق لإستطاعتهم، استقروا أولاً بناحية أولف بعيد قدامهم للمنطقة ثم انتقلوا لقرية بوعلي وتكررين (محمد باي بلعالم، 2004، ص36).

المسلمة الثالثة: ترى للعرب دور في خط الفقارة لقدمهم من مناطق بها مثل هذه الوسيلة الخاضعة لنزوات الطبيعية وتقلبات الطقس، فنزوح قبيلة أولاد بن عبد الجليل سنة 501 هجرية/ 1107م، من القبائل العربية المستعربة من البيض، قدمت من المشرق العربي وبالضبط من الجزيرة العربية (أحمد بن يحيى الونشريسي، 1981، ص365).

المسلمة الرابعة: ترى دوراً للقبائل الزناتية المستوطنة قديماً في المناطق الدور الأساسي في خط وإنشاء الفقاير، قدموا من مناطق تفلح بوسائل تقليدية وعلى مراحل مختلفة استوطنوا وتوطنوا أولاً بقصور بودة (في القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي لما انهارت دولة زناتة فروا بعد أن أنهكتهم الحروب فأنسوا في سجماسة وأوكنوا الأوعية وسعوا لجهة القبلة شاردين)، فتم لهم على 17 عشر مرحلة من سجماسة، فنزلوا أرض (بودة) فوجدوا ماء (واد جبر) قد جف، فتجولوا شرقاً وغرباً فظهر لهم عمران الأرض فبنوا وأرسوا، فبنوا قصورهم على شفير مجرى (واد المسعود) وانتقلوا قبلة تمنطيط واتخذوا بمجرى الوادي بساتين وجنات وحفروا فقاير وبنوا القصور (كموسى) وقد اندثرت قصورهم (محمد باي بلعالم، 1985، ص10). وقد وجدوا ما قبل تمنطيط وما ضاهاها في حكم العجم (الجيولوجيون)، وقد استولت قبيلة الممتون على قبيلة زناتة وأنهت حكمها (محمد بن عميرة، 1984، ص15-26).

المسلمة الخامسة: تشير لبداية الألف الميلادي الأول حيث كانت الكتلة المائية الجوفية للحوض الألبى (الكومنتينونتال أنتير كالير) مستواها المائي فوق سطح الأرض، وقد ساعدت طبقات الماء الموجودة على السطح في بعض المناطق، على سهولة استخراجها

واستغلاله، خاصة بجوار العيون وعلى حواف الجروف، وهو ما مكّن من زراعة أغلب الأراضي المقابلة لها في السهل الجنوبي لواد المسعود. وبالخصوص تحت (هضبة تدميت) حيث توجد طبقات مياه (الكونتيتوننتال انتير كالير) التي تزود معظم الفقافير بالمنطقة والآبار الارتوازية، هذا هو التفسير الذي أعطاه (فالي) حول مصادر تزويد الفقارة بالمياه الباطنية، فالخلاف باق بين الباحثين والمهتمين حول أصل نشأة الفقارة ومصدرها الأول.

المسلمة السادسة: يشير صاحب مخطوط (البسيط في أخبار تمنطيط) أن أول من أدخل نظام الفقارة لقصور توات (الملك المنصور بن يوسف التاجفيت)، حيث لجأ للمنطقة خوفاً من ملاحقة عدوه (المنصور بن سعيد)، واستقر الملك المنصور بن يوسف بتمنطيط بعد أن كان ينوي التوجه للسودان، وعند وصوله تمنطيط أطلق عليها اسم عربي ((حاجب العين)) وشيد فيها بناء وأحاطه بخندق، وحفر فقارة بمعية السكان سماها (هنو)، ويؤكد المصدر أن الفقارة انتشرت منذ ذلك الحين حتى بلغ تعدادها 367 فقارة حوالي 913/300م.

المسلمة السابعة: ترجع إنشاء الفقارة لفترات مختلفة أرجعها مخطوط (عمر المهدي) للطائفة اليهودية، باعتبارها من أنجز أول فقارة بتوات واستدل بأن اليهود الذين انجلوا من المدينة المنورة استوطنوا (بني قريظة/وبني قنيقاع) حيث كانت بها وسيلة تعرف (بالشراج).

المسلمة الثامنة: يشير القاضي محمد بن عبد الكريم البكراري المولود سنة 1262هـ / 1811م المتوفى سنة 1339هـ / 1921م، في (مخطوطته اللوحة: 5). إن البربر من قبيلة زناتة الذين استوطنوا المنطقة في وقت مبكر قد يكونون هم الذين اختطوا وحفروا الفقارة وبنو القصور بنواحي توات، يستدل على ذلك أن معظم أسماء القصور والفقافير أعجمية، وقد يكون نزوح زناتة للمنطقة خلال القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي عندما هزمت دولة زناتة، نزلوا (بودة) فوجدوا مياه (وادي جبر) جفت، فبدؤوا البحث عن الماء فتمكنوا من استخراجها فزرعوا مجرى الوادي بساتين وجنات وحفروا الفقافير وبنو القصور.

المسلمة التاسعة: يشير الكثير من المهتمين والباحثين الأنثروبولوجيين والإثنوغرافيين خاصة الفرنسيين منهم والألمان، والبريطانيين الذين حاولوا كشف المناطق الإدارية بواسطة الرحالة المستكشفين، بينما الدراسات الأنثروبولوجية الكولونيالية التي قام بها المعمرون الذين وطنوا بالمناطق خلال النصف الأول من القرن العشرين، قدموا أبحاث ومسوحات لخدمة المستعمر استنتجوا أن الأسباب الأساسية لإيجاد هذه الطريقة يرجع لضعف المياه التي كانت تتبع من الينابيع المأهولة بالسكان، فحوالي القرن 4هـ / 10م، بدأ السكان مرحلة البحث تحت الأرض بطرق شتى لجلب المياه الجوفية المتوفرة، وخاصة حول حواف الجروف والهضاب إلى أن اهتدى السكان لطريقة الفقارة (أجبي/مارتن، 1928، ص 260).

خامسا: الأنماط الهيدرولوجية لتفعيل نشاط الفقارة: يبدو من خلال السياقات العامة وما تم استخلاصه من خلال الذاكرة الشعبية والمخزون المخيالي الفردي والجماعي أن هناك نظاما فلاحية تكون قد سبقت استخلاص نظام الخراصة / الخماسة / المثلثة. فقد صرح لنا "الحاج قدور عليوة 105 سنة في عمره" أن القصور التي لم تكن ظهرت بها وسيلة الفقارة كانت تعتمد على وسيلة نظام (الخطارة) في المرحلة الأولى جرّها الإنسان، ثم عوضه الجمل، وأخيرا أصبح ملاكي البساتين يجرونها بواسطة البغال والحمير. يكترون من يعمل عليها. طيلة اليوم يتلقى المعاون أجرته إما (امسطن من القمح/او قروي تمر/أو ثلاثة امسطمونة من الشعير/أو يعمل طيلة اليوم ليحصل على غذائه من المالك. استغلال قروي

تعريف أنظمة التفاعل المقاسي بين الخماس والخراص: هي مجموعة من القواعد العرفية السلوكية وظفت على أساس بناء التواصل بين خماس وخمس وخراص ومخرص على مبدأ متانة الدمة، وديمومة العمل، يقدم الخراص حصائل المنتج نظيرة حبات الماء الجارية في البستان، ويعمل الخماس طيلة السنة ليتقاضى خمس الإنتاج. فكلما كان الاختلاف كلما كان هناك اعتماد الأفراد على بعضهم البعض. فتعدد الثقافات يعود لتعدد الأبنية المحلية، وتعدد الخصوصيات الاجتماعية في المجتمع. يؤدي لنسج وبناء ثقافات متنوعة تكون نتاج بنيات اجتماعية ومادية تتقاطع فيما بينها، فالكل أكبر من كل أجزائه، والحقائق خارج كيانات الأفراد فنظم الخماسة والخراصة وضعت فوق

الأفراد تم ربطها بالتصورات الدينية لتأخذ القطعية في التعامل يؤدونها لكسب العيش في المجتمع ومن خرج عنها حاصره المجتمع بضوابطه وقيمه الأخلاقية.

أولاً: نظام الخرافة: يعرف أنه (عقد اجتماعي يتم على قوة ومثانة ذمة خراف لمخرص لقاء تخريس حبات الماء الجاري في البستان)، فهي نظام اجتماعي، هيدرولوجي استغلالي فعل منذ نشأة الفقارة، ولما يزال يحافظ على انسجامه وكيانه مع إحداث بعض التغيير في كفاءات وأساليب دفع الخراف حقوق المخرص. فمن الناحية اللغوية جاءت من الخرص أو القرط أو الخزيمة التي تعلق بأنف الجمل لتحويله الوجه التي نريد، فهي تمثل جر الكل من الجزء، فالكل أكبر من كل أجزائه، والخرص ما تعلقه المرأة بأذنها للزينة، من عادة بعض القبائل الإفريقية، الهندية، الأسترالية وضع حلقة بالأنف لتمييز القبيلة التي تنتمي المرأة لها. و(الخرافة) بخفض الخاء تعني الكذب والبهتان تبني على الظن/الشك/الريبة.

(1) شروط صحتها: بلوغ المتعاقدين المخرص والخراف، وضع عقد جريده بينهما، تثبت ملكية المخرص لعقد اجتماعي عرفي يحدد كمية الماء الجارية في العقار المخرص، وتحديد جرائه ومنعرجات سواقي توصيل الماء للجنائن وعدد القصريات التي يتم منها التحويل.

(2) كيفية التعاقد: يتقدم الخراف بطلب تخريس كمية المياه بالبستان من مالكيها، ليتم الاتفاق على يوم معين ومكان محدد بحضور جماعة القصر، وهو ليس إلزامياً. فيبرم (التقنين العرفي) بزمنين مختلفين، بعد صلاة العصر، أو بين المغرب والعشاء.

يحدد عادة مكان إبرام العقد أمام المدخل الرئيسي للقصبة أو القصر بحيث تحضره الجماعة، الخراف، والمخرص، ولضمان استغراب واستغلال، واستغناء الفلاح وتماويه بالمالك يتواصل أفراد المجتمع ببعض الأمثال الاستدرجية لضمان بقاء صيرورة إيديولوجية المالك لمسيرة سلوكيات الأفراد والجماعات، يقول المثل الشعبي (الخرافة والخسارة أولاً الخماسة والدسارة) يحتوي المثل على عدة مضامين ورميزات لبقاء الخراف تحت إيديولوجية التماهي بالمالك ووطأة العنف الرمزي المستخفي بمضامين التفاعلات الهادئة.

فالخراف والخماس يتماهيان دوماً بمالك الماء والعقار لاعتقادهما أنه ولي نعمتهما، في غياب أي نشاط غير الخماسة والخرافة، هذا ما تحاول الثقافة المحلية استدماجه واستدرجه لبنية التفاعل بين الأفراد والجماعات ليعتاشو بعالم العنف الخفي (الرمزي) قد تأتي الطبيعة وغوائله لتشكل تهديداً فعلياً لقوته وأمنه وصحة ذمته (الجفاف/ردم الفقارة/الحريق/الأمراض/الأوبئة/مناوشات/الآفات الزراعية/كسر الساقية/حلول موجة الجراد يأكل الأخضر واليابس/موت الخراف) يعيش الخراف والخماس فقدان السيطرة على مصيره (مصطفى حجازي، 2005، ص 37). إن مرحلة القهر المعاشة تكون نتيجة تعسف مالكي الماء والعقار الفلاحي ضد العامل، قد تمتد زمناً طويلاً يشكل فيها زمن الرضوخ والاستكانة (الفترة المظلمة في حياة الخماس والخراف) فعملية انهيار قيمة الإنسان المقهور وطغيان أنوية المتسلط تأخذ أبرز أشكالها في صور العنف الرمزي. أبرز ملامحه مرحلة اجتياف (Introjection) عملية التبخيس (Dépréciation) التي يعمل فيها الخراف والخماس، تبدو في غرس مظاهر "الدونية/التمييز/التهميش/العلية/الفوقية" بنفسيهما ليصبجا حليفين للمتسلط في حربه ضد وجودهما والآخرين، فتظهر بينهما والآخرين علاقة ازدراء كونهما لا

يقتسمان تطلعاتهم، ومن أبرز أيضاً مظاهر اجتياف التبخيس والعنوانية التي يفرضهما المتسلط للإعجاب والاستسلام به. فيقدر ما ينهار اعتبار الخماس، والخراف لذاتهما يتضخم تقدير المتسلط لنفسه، ويرى فيه نوعاً من الإنسان الفائق Surhomme (مصطفى حجازي، 2005، ص 43). ففي أغلب الحالات يوالي الخماس، الخراف مالك الماء والعقار لإصابتها (بمثالزمة ستوكهولم) والتولية نقصد بها هنا إدراكهما بأنه أفضل معين ومؤتمن عليه في المال والبنين يتم الرجوع إليه في كل المسائل العائلية وغيرها، فيصبحان حليفان مدافعان عن نظم الفقارة وعن العنف الرمزي الذي أسقطهما فيه المالك بتماهيه.

ثانياً: نظام المثالثة: لا يحتفظ هذا النظام عما سبقه إلا بمجموعة من الحيل والخداع التي توهم المثالث أيام (الفرانة) صيدا سمينا من المالك لتخصصه ببستانه، فيتم التقاهم (شفاهياً) بين مالك ومثالث على العمل بالبستان خلال الثلاثة أشهر الخاصة (بالفرانة) أي قطف بواكر الثمر (بامخولف، بامحمد، الدقلة، تقربوش، تنقور، تكارة، تلمسو، اذكلي) على أن يحصل المالك على منتج الشهرين الأولين للفرانة ويحصل المثالث على منتج الشهر الثالث، تكون النخيل فيه خرفت. نقول خرف النخل يخرفه خرفاً وخرافاً، واخترفه: صرمة

واجتته، والخروفة: النخلة يخرف ثمرها أى يصرم والخرائف: النخل اللاني تخرص، وخرفت فلانا أخرفه إذا لقطت له الثمر (محمد ابن مكرم ابن منظور، ص 64).

الصورة 2: أنواع الفرانة (أيام اقتطاف البواكر بامخلوف، الشيخ امحمد، الدكلة)



المصدر: مزرعة التجارب الفلاحية لولاية أدرار (قصر أولاد عيسى)

ثالثا: مظاهر إحداث ظاهرة التعارض الثنائي: يقع تعارض ثنائي بين نظامي الخماسة، الخراصة، المثالثة. كلما دخل المجتمع مرحلة التحول من نظام لنظام أكثر منه تطورا، فقد انسلخت الخراصة من رحم الخماسة كونها سابقة عليها، وانسلخ نظام المثالثة من رحم

الخراصة، كونه يمثل أرضيته الأساسية في مرحلة التجديد والتحول الذي أفضى إليه نظام استصلاح أراضي البور بأقاليم توات/قورارة/تديكلت. يلاحظ في إطار التفاعلات الاجتماعية أن مفهومي الخماسة والخراصة أصبحتا منبذتان في التداول والتواصل الفردي والجماعي كونهما تعبران عن حقبة زمنية عرفها المجتمع. (أيام السخرة) كان بناء المكانة فيها يركز على (ملكية الماء/العقار الفلاحي/الجاه/النسب المقدس/رأس المال الثقافي) بينما أصبحتا اليوم تحملان وصما اجتماعيا يؤرق الأفراد والجماعات. فلم يعد يتقبل الفرد نعتة بالخماس أو الخراص، إلا أنه (عندما يصبح التفاعل سلوكا مكتسبا ومتداولاً بين الناس يتحول لقناعة مستصاغة يطبع تداوله بين الأفراد والجماعات. فيصبح أمر تناول تعاطيه (مسلمة) وإن كانت تحمل بداخلها مضامين الدونية، الاحتقار، التهميش، الوصم الاجتماعي).

(When interaction becomes a learned behaviour and circulating a many people, it transforms into an appropriated conviction that prints its circulation between individuals and groups, so that the abuse of it becomes a (musllama) one even if it carries within it the implications of inferiority, contempt, marginalization, and social stigma).

فنتيجة ذلك كان من الضروري إحداث القطيعة الاستمولوجية بين الخطاب العنصري الموروث المرتكز على عناصر بناء المكانة الماضية، والتي استخلفت بعناصر جديدة طورت الخطاب الفردي والجماعي، نتيجة (منصات التواصل الاجتماعي) (كل سلوك خارج عن القواعد القانونية الضبطية المتعارف عليها اجتماعيا يؤدي لجريمة).

(Every behaviour outside the sope and disciplinary rules leads to the commission of a crime

فظاهرة الخماسة، الخراصة بالمدن قل التداول بمضامينها واقتصرت تعاملها بالقصور الداخلية، لأن التفاعل والخطاب برمزياتها هناك لا يثير الاهتمام بين الأفراد كونها تمثل قاعدة للاعتياش، ورمزية مالكي الماء والعقار لبناء علية فوقية اعتبارية، ومصدر عيش من لا يملك. لقد كان عنصر الماء ولما يزال يشكل عند سكان القصور والقصبات أهمية بالغة باعتباره المورد الحيوي الذي كان فيما مضى أقوى الأسلحة التي تم من خلاله ترويض الساكنة اقتصاديا، اجتماعيا، هيدرولوجيا، نفسيا، باعتبارها تعيش قيدا وأحيانا حارا فصل الصيف، فعلى مدار فترة الاستيطان والتوطن الإنساني بالأقاليم تمكنت الجماعة المتعاقبة

من امتلاك عنصري (الماء/العقار) بنت عليهما كل نزول وصعود في هرم الترقى الاجتماعي. فعملية التخريس والتخميس تجمع الجماعة مدخل القصر فوق (الدكانات) يتم فتح السجل لطلب تخريس البستان الفلاحي من المخرص أمام الجمع الحاضر، فيتم التشاور بين الجماعة حول قوة ومتانة ذمة الخراص مع الأخذ بالاعتبار حضور " زمام" الفخارة الموكول للشاهد (أمام الصلوات الخمس بالمسجد العتيق)

ولدى الكيال ملكيات كل فرد بالفقارة، يفتح الزمام لتحديد كمية المياه التي يملكها المخرص وبيان الطرق التي يسير فيها، يتم الاتفاق على تخريص بستان فلان الذي تجري به (خمس حبات من الماء)، فيتم الاتفاق مثلا على تخريصها لمدة سنة: 5 أحمال ثمر: 12 قلبة من القمح نوع بلمبروك. 5 قلابات من الشعير نوع المش. 5 ازقان عدس و ½ حمل من القمح نوع التازي. وحينها يتم التوافق بين (الخراص والمخرص) بتسجيل ورقة لدى الإمام، يبين أن فلانا قد خرص عن فلان كمية من الماء في زمن ما بحضور الجماعة، وتم الاتفاق بينهما، يعطي الإمام كليهما ورقة تبين شروط العقد. وأحيانا يعتمد على ذمة الخراص يتم الاتفاق بينهما فقط دون جماعة.

(2) شروط بطلانها: إخلال أحد الطرفين بالعقد. عدم الالتزام بعقد الذمة لدى الخراص.

(3) كسر الخراصة: نتيجة لمجموعة من المعوقات قد تعترض الخراص كسقوط الفقارة، أو لجائحة طبيعية، كانتشار أسراب الجراد، سقوط الساقية. موت الخراص، احتراق المنتج، فرغم هذه المطبات الطبيعية والإنسانية لا يعفى الخراص من تأدية التزاماته المجسد بالعقد الذي أبرمه أمام الجميع، فعليه إما: أن يدفع المحاصيل المتفق عليها، أو يحجر عليه ما يطلق عليه السمد الطبيعي المنزلي الذي يربيه (الغبار) لمدة سنة يدفع للمخرص. أو يدفع ماشيته للمخرص تذبح توزع وتباع لتخليص المخرص. أو أن يقوم هو بالعمل دون أجره لمدة سنة لدى المخرص. أو يدفع أحد أبنائه للعمل لدى المخرص مدة سنة. أو يدفع بإحدى بناته للعمل كخادمة بمنزل المخرص (كعتبة الدار) فهذه الوسيلة عبارة عن عنف رمزي يسلط على الإنسان لحاجته لإعالة نفسه وأبنائه. فهو إذن عبارة عن شيء بيد المالك

رابعا: نظام الخماسة: هي (عبارة عن عقد عرفي يتم بين خمس وخمس، نظير تقديمه لمجهود عضلي خلال فترة زمنية معينة يتلقى عند الحصاد خمس 5/1 المنتج).

شروط صحتها: بلوغ الطرفين، تحقيق الملكية، شرعية العقد، يتم العقد بينهما فقط.

مهم في الحياة هو: (الماء)، حيث كانت الألغاز الجزائية تقوم على الماء إما خلال طرح اللغز، أو حله؛ ذلك لأن الماء خلاص من العطش والجفاف وعنوان للبقاء وضمان الحياة، فقد كان القدماء يعرفون قيمة الماء وأنه ثروة حية لا بد من الحفاظ عليها، كما أن الماء ضرورة ملحة تتبع حياة الكائن البشري والحيواني والنباتي أينما حلّ وارتحل، وقد ذكر الله سبحانه عز وجل قيمة الماء في كتابه العزيز (أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) سورة الأنبياء الآية 30 . كما يقول عز وجل (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ). البقرة الآية 22 .

فالماء نواة وجود الكائنات ومصدر إمداد البشرية بالبقاء، ومن أعظم النعم التي قد لا يبالي الناس بما لألفتهم لها واعتيادهم عليها، إن وجد وجدت الحياة، وإن فقد فقدت الحياة، فلا تغني عنه كنوز الكون لو حضرت بين يدي فاقده.

وهذه الآية القرآنية دليل قاطع على أهمية الماء ودوره في الحياة برمته، فالماء هو أساس البقاء لجميع الكائنات الحية؛ وهو سبب حياة الإنسان، والحيوان والنبات، ونعمة كبيرة لا ندرك أهميتها إلا عند فقدانها. وهو سر الحياة الذي جعل الله تعالى منه كل شيء حي بأمره، فلولا نعمة الماء لما عاش إنسان، ولا نبات ولا حيوان، ولا تزينت الطبيعة بالجمال ولا اخضرت الأشجار ولا تفتحت الأزهار ولا نضجت الفواكه والخضار وما اغتسل الإنسان .

لو حاول أحد أن يحصي ما للماء من فوائد لعجز، فهذه النعمة العظيمة هي أساس نظافة أجسامنا وبيوتنا والأماكن التي نكون فيها، لولاه لما انتشرت الروائح المنعشة في هذه الأرض.

فالماء أساس النظافة والجمال، وهو أيضا أساس الطهارة، فلولا وجوده لما تطهرنا ولا استطعنا التخلص من كل ما يؤذي أجسامنا؛ لأن الماء نعمة عظيمة، علينا أن نحمله من فقدان الهدير، وأن نحافظ عليه كي يظل صافيا نقيا لا يعكره أي شيء، فلا يجب أن نسرف في استخدامه، فالإسراف فيه نكران للنعمة وتضييع لها .

كيفية التعاقد العرفي: يعتبر هذا العقد أخف من العقد الأول فهو متطور عنه جاء من حيث حرية الخماس، فهو إذن نتيجة حتمية بعد انكسار النظام السابق، بفعل توافق مجموعة من العوامل المساعدة على إحداث التغيير في بني الهيكل المادي غير أن عناصر المرحلة السابقة متعايشة معه حافظ المجتمع على صيرورتها وبقيائها ليضمن التواصل بدون إحداث خلل، فجعل الخماس آلة بيد الخمس بحيث يعتد ويشقى ويكد ويجد ليحصل على خمس 5/1 المنتج الذي يوفره البستان إن وجد، فقد لا يحصل الخماس على شيء أن نزلت بالمنتج جارة، أو جراد، أو سقطت الفقرة، فهي بذلك نمط من أنماط (الاستلاب الذاتي) والتغيب العقلي والتغريب المفقد للوعي الفردي والجماعي، فليست نظاما متحررا كثيرا عن النظم السابقة، فهي (نتيجة حتمية لعجز نظام الخرافة عن تلبية حاجات المجتمع). فالخراس يعتمد على وسائله الخاصة لتدوير العملية الإنتاجية بالحقل مدة العقد، بينما في نظام الخماسة تكون وسائل الإنتاج على عائق المالك كالمسحة، الزريعة والغبار.

***شروط بطلانها:** كلما أخل أحد الطرفين بشرط من شروطها بطل العقد لارتباط تفاعلاتها بالتصورات الدينية كالمساقاة، والمزارعة. فما كان يزعم الخماسين (التحكم الكامل للمخمس بالمنتج أيام اقتطاف البواكر متى شاء) فالمثل الشعبي القائل (الخرافة والخسارة، أولا الخماسة والفساد). يصور حق المالك اقتطاف المنتج متى شاء وقد لا يجزأ الخماس على إبداء المعارضة وهو يرى المنتج الذي صهر عليه وحماه من الطيور، والصرندي، وهبوب الرياح يقتطف كل يوم على مسامحه ولا معارضة للخماس عليه. بينما لا يحق له هو قطف المنتج، أما المالك وأبناؤه يقطفون الثمرات كلما نضجت وتراه هو يمنع أبناءه الاقتراب من نخلة وكرمت (الكرموس، البطيخ، الشمر، بامخلوف، الشيخ أحمد، الضكلة الخ...).

خامسا: البنيات الاجتماعية: يبدو بأنه كلما كان الاختلاف كلما كان هناك اعتمادنا على بعضنا البعض، فانقسام المجتمع لبنيات أو فئات اجتماعية شكل مغرقا متميزا عند سكان القصور، عما عند البدو الرحل. فيمكن للزائر التمييز بين ستة فئات اجتماعية.

***فئة الأشراف:** يصنفهم المجتمع من نسل الرسول يقدهم حبا في رسول الله (صلعم).

***فئة المرباطين:** انحدروا مما عرفوا بالورع والتقوى معلمو القرآن الكريم أصحاب الزوايا.

***فئة العوام أو عرب الخط:** هم خليط سكان الواحات ينشطون بالفلاحة والتجارة.

***فئة الحراطين:** يقومون بكل الأعمال اليدوية في الواحات لهم وضعية اجتماعية خاصة في نظر الفئات الثلاثة السابقة. يشغلون للحصول على خمس الإنتاج ومفهوم (الخماس) يحيلنا على ذلك الإنسان الشغل بخمس الغلة يستعمل مرادفا (للحراطين)، الذي لا يملك أرضا بالواحات ولا سكا، نهاية القرن التاسع عشر لمنتصف القرن العشرين، فارتبط هذا الوضع بتنامي قوة وضعف صائب مياه الفقارة، بينما حراطين درعة بالمغرب الأقصى يمتلكون الأرض يزرعون ويبيعون منتجاتها (الماء في تاريخ المغرب، 1999، ص123). فالحراطين المغربي شغل بأراضيه الخاصة، وإن كان استثناء (روس ا. دان، 2006، ص44-48) بخلاف خماسي وحراطين أدرار منعوا امتلاك الأرض تلك الفترة، بتبني المجتمع لعاملين قاطعين بين الامتلاك وبناء المكانة (ظاهرة التعمية/ظاهرة التجهيل) ولكون امتلاك العقار في المجتمع يبني المكانة الاجتماعية حال المجتمع بينها باعتماد الظاهرتين المشار اليهما. يقول المثل الشعبي (إلى تقادو لكتاف الشيخ هتاف) بمعنى إذا أصبح الخماس والخراس يملك ما يملك الآخرون يمكنه الارتقاء والخروج من مظهر التعمية باكتساب الوعي الفردي والجماعي Collective Connaissance فلا قدرة لخماس أو لخرص المشاركة في بنك الماء أو شرائه، فمنع الحصول على الأرض والمياه بالفقارة بتفقيده وتماويه.

7: نازلة الخماس وفتواها: لقد تناول الفقه المحلي نازلة الخماس، كما جاءت في كتاب المعيار المعرب السؤال: هل تجوز الخماسة أو لا تجوز؟ فكان الرد على سؤال النازلة لا تجوز إلا إذا كانت بمعنى الشركة تكون قيمة عمله (الخماس) بقدر الجزء الذي له، وعليه جميع ما يتعلق بالشركة فيكون حظه من كل ما يكون في الزرع دون شريكه. والمستعمل اليوم بين الناس غالبا لا يجوز كونه آجر نفسه بشيء

مجهول (أحمد بن يحيى الونشريسي 1981، ص 150). لقد سئل أبو القاسم السيوري: عمن له جنات منها ما يعمل بالسانية وما يعمل بالماء الكثير أو الصغير وله رجال يعملون بإيجارات مختلفة فالعامل بالسانية له الخمس والآخر بالعشر، فهل تجوز هذه الإجارة أم لا فيما يؤخذ منه؟ وهل يطلبون بركة؟ أم الزكاة على رب الأصل (أحمد بن يحيى الونشريسي، 1981، ص 365). وطرح السؤال نفس السؤال أيضا على محمد بن أبا المزمري بأولف باختلاف في الطرح، ليتناول الفقه

المحلي مسألة الخماسة كإشكالية أو نازلة معيارية عرضت للنقاش على الفقهاء لصحتها أو بطلانها.

* صاحب النازلة: عمر بن محمد المصطفى الكنتي الرقادي بقصر زاوية كنته.

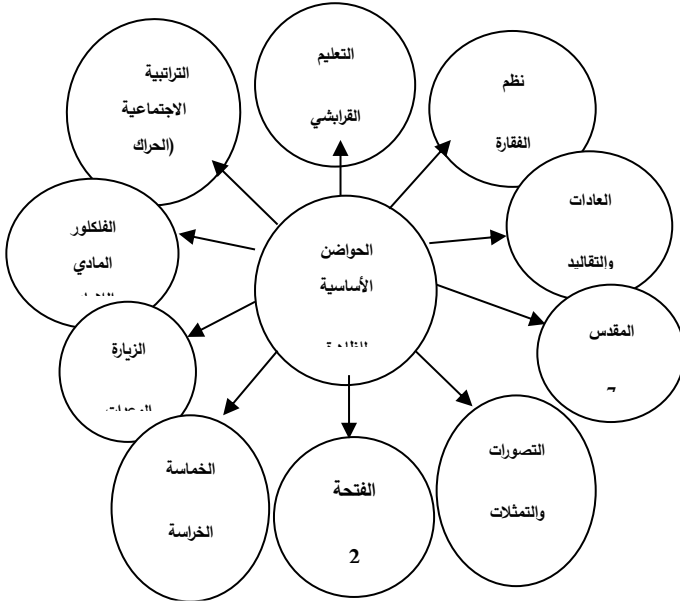
* بداية النازلة: أجبنا في مسألة عمت بها البلوى عندنا وهي أن الخارص العارف المخرص الحائط بقدر معلوم من الثمر، ثم يوجد بعد الجذاذ أقل، فيطلب رب الحائط من الخماس غرم ما نقص عن تخريص العارف مدعيا عليه أنه سرقة أو فرط فيه حتى سرقة غيره، وينكر الخماس الأمرين يدعى الضياع والتلف بغير تقريط أو خطأ الخارص. فهل القول لرب الحائط أو للخماس، وخماسين بلادنا هذه (توات) مما شاهدنا من سيرتهم الخبيثة لا يزالون يأكلون هم وأولادهم ودوابهم، ويأخذون عمر الربيع ويتمادون على ذلك إلى أن يخرص الحائط، وربما صاح المالك على الخماس. وختمها بقوله وكتبه مكرر السلام عليكم عبيد ربه عمر بن محمد المصطفى.

* جواب النازلة: ما وصفت به الخماسين في السؤال وصف ينافي أفاقتهم ويصير الخماس مدعيا لا مدعى عليه، فإذا نقص الثمر عند خرص العارف فاتهم المالك الخماس بالسرقة. فاعتمد على فتوى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (يكون المدعى عليه بكسرقة من غير بنية ثلاثة أقسام: قسم بعيد عما نسب إليه: فهذا لا يلتفت لدعوى المدعى عليه بل يؤدي له إن كان من أهل الصلاح، لا بل ما نسب إليه. وقسم قريب من الدعوى: فهذا لا بد له من البلوى بكحبس ويهدد ويولم ويجلد بحسب الجريمة وبعده عن التقوى، وربما يغرم في كسرقة بالدعوى واليمين من غير تبين. والقسم بين القسمين: لا يعلم من أي الحزبين فهذا لا بد من اعتقاله وكشف الحاكم حاله (محمد بن أبا المزمري، ص 2-5).

8: إكراهات نظامي الخراصة والخماسة: من اشد الاكراهات المعترضة لحياة الخماس والخراص (كسر الخراصة/ظاهرة التعمية/إصابة المنتج أو الفقارة بجائحة عاتقة) يعاقب المجتمع الخراص الذي كسرت فيه الخراصة بتهميشه وعزله رمزيا لانتفاء عنه صفة الذمة والأمانة، وقوة الفعالية، فعدم تبرة الذمة تعني سقوط الخراص من بنية لأخرى في سلم التدرج الاجتماعي، يقاطعه المجتمع وهذه اشد مظلة يقع فيها الخراص، فلا يتعامل معه أحدا ما لم يظهر صك تبرأت ذمته مع المخربين. إن هذه الإكراهات الاستدماجية المستبطنة

ضمن التصورات العرفية استخلص لها المشرع المحلي منافذ في الفقه المحلي، حفلت مخطوطة (الغنية البلبالية) بالعديد من الصور والاكراهات التي عانى منها الخماسون والخراصون (محمد بن عبد الرحمت البلبالي، اللوحة 69) فالعديد من الظواهر السلوكية عدت نوازل استقاض الفقه المحلي في تفسيرها لتدمج ضمن الخطاب الديني (الهوياتي) تبعا للعرف المحلي بنيت عليها تمثلات وتصورات المجتمع ليكون الجزاء الأخلاقي (Sonction Moral) فقيم المجتمع وكون الجزاءات (توزيع الشهادات الأخلاقية) من ردود الأفعال الكاشفة عن استهجان الأفراد والجماعات لكل تعدي على المعايير الأخلاقية، فمخالفتها تظهر في رد الفعل الاجتماعي بتموضع فئة بمكان أعلى وأخرى بموضع بأدنى، فالإكراهات الناتجة عن صفة (une claque) الطفل مثلا لارتكابه خطأ ما، لإرغامه على تصحيح سلوك معين، تسبب له شعورا بالمذلة واحتقار الذات، فلا يجد لهذا الشعور منفذا، يحوله للاشعور، فالعقاب الجسدي لا يعلم الطفل إلا الرضوخ كما أن العقاب يشكل أداة مباشرة لإخضاع الفرد، فتلقي الخراص الصفة أو (الطرشة) بمجتمع الدراسة تمثل أعلى درجة الحط المهانة والدونية تحط من قيمة ومكانة الإنسان، خاصة إذا تلقاها بين الناس تجعله أضحوكة بين أفراد عائلته، فقد تزامنت الطرشة مع نظامي الخراصة والخماسة، (الحقرة) فكان يحمل ذلك الفعل على الاستعلاء/الاستخفاف/الدونية/القوة فكثيرا من الخراصين والخماسين وقعوا تحت طائلة الطرشة Claque لضعف المنتج.

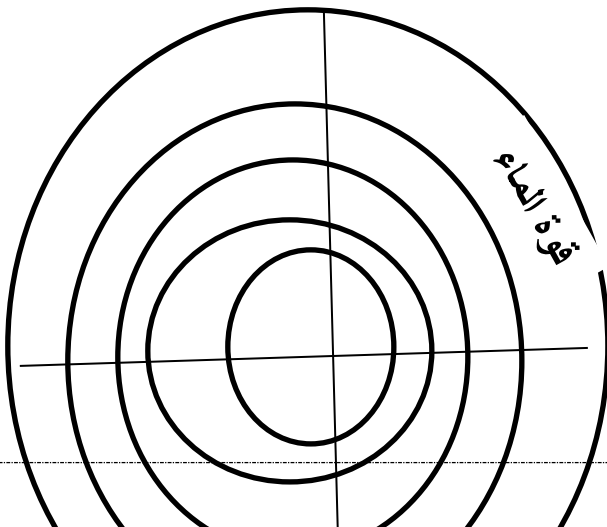
الشكل 1: يبين مضامين انبثائية حواضن مظاهر الوصم الاجتماعي بالمجتمع.



المصدر: مبروك مقدم، 2020/2019، ص366

لقد تم استخلاص المجسم لكشف العلاقة التفاعلية الرمزية بين المفاهيم الاحتضانية للظاهرة الانقسامية إنتاج وإعادة إنتاج . وما ينتج عنها من اكراهات تَوَرَّق الخماس والخراس، يتم بناء الترابطات بين البنيات الاجتماعية، المادية، الهيدرولوجية بتفعيل علاقة السوق/ الإنتاج/قوة وضعف صبائب مياه الفقارة وارتباطهما بجلب أكبر عدد من العمال خلال القرن 18 و19 ميلاديين من دول الساحل (مبروك مقدم، 2019، ص259).

الشكل 2: يظهر العلاقة بين قوة وضعف صبائب الفقارة وعلاقتها بجلب العمال



المصدر: مبروك مقدم، مرجع سابق، 2019-2020، ص 229

يبين الشكل العلاقة الطردية بين قوة الصبائب، الإنتاج، المجلوبون في المعادلات التالية:

أولاً: 1- قوة مياه الفقارة ⇨ لقوة أمازر = ثقل المنتج ⇨ لتصغير أعيرة الكيل.

قوة المنتج ⇨ لرفع السعر في السوق = كثرة طلب المنتج ⇨ لرفع قيمته السوقية.

ثانياً: 2- ضعف أمازر ⇨ لطلب المجلوبين = قلة المنتج ⇨ لارتفاع الطلب عليهما.

ثالثاً: 3- خفة المنتج ⇨ لاعتماد أعيرة كبيرة = بخس المنتج ⇨ كساد البضاعة.

والعلاقة الطردية التفاعلية تكمن في (تردي الفقارة ⇨ لقلة المنتج ⇨ لطلب المجلوبين ⇨ لزيادة المعدمين ⇨ لتفاقم الهجرة الداخلية ⇨ لتبني السلوكات الوصمية

9: وحدة النسق المقاسي لتوزيع مياه الفقارة: تمثل وحدة القياس (الحبة)، وإن كان هناك اختلاف في تسميتها، بمنطقة توات تسمى (الماجن)، بمنطقة قورارة يطلقون عليها (العود)، وفي منطقة تيديكلت (بالحبة زريق) غير أنها تتساوى من حيث عدد الأجزاء المكونة للحبة وهي 24 قيراط، تقسم كل عملية توزيع للمياه على تشكيل وحدات القياس على 24،

ثلثها 8 (||)، ربعها 6 (|:)، نصفها 12 (|||). وقد لاحظت من خلال تتبعي للكتابات الصخرية ببرج باجي المختار، وتيمياوين أن هناك علاقة ارتباط قوي وتناسقاً بين إشارات رموز تقسيم مياه الفقارة وحروف التافيناق المكتوبة على الحجارة الصخرية في الفضاءات الصحراوية بتلك المناطق.

تتكون حروف التافيناق من 28 حرف منها 20 حرف (للتافيناق) و 8 حروف لما يسمى بحروف (تيدباكين) وهو ما يرمز باللغة العربية للحركات. مثال ذلك (:::.)، وبالنسبة لحروف التافيناق تكون على الشكل التالي: (=:0). يمكن إدراج مثال على طريقة التوزيع 1. رأس فقارة بها 150 حبة معبود. 2. 300 حبة زريق. 3. يملكها 50 فلاح.

1. أشكال التوزيع:

(|||) 24 نصفها الحبة (||) أي 12 ثلثها (||) أي 8.

(|||) (:) ربع الحبة 6 (:) سدسها 4 ثمنها (:).

قيراط (24) نصفه 12 ثلثه (=أي 8) .

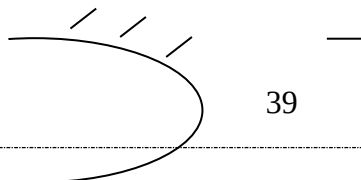
ربع القيراط (- سدس القيراط 4) ثمنه : أي ١

مثال ذلك: مثال تقسيم (|||) 100 حبة للواحد قيراط القيراط.

1) رأس الفقارة 150 حبة معبود. 2) بها 300 حبة زريق. 3) عدد ملاكها 50.

4. تحصلنا على 10 حبات زريق مثلاً: يتم تقسيمها بالتساوي كل حسب ملكيته فيها، وذلك عن طريق إجراء عملية النفخ. أو العول.

الشكل رقم 3: يوضح التعامل مع المشط (القصرية) وتحديد رموز الحبة، ومحتواها 24 .



24 = III قيراط.

2. توضيح مصطلحات الحبة والقيراط:

* الكيل = 24 حبة. * الحبة = 24 = 576 قيراط القيراط. * نصف الحبة = 12 قيراط. * القيراط = 24 قيراط القيراط. * ربع الحبة = 06 قيراط = 96 قيراط القيراط.
* سدس الحبة = 04 قيراط = 144 قيراط القيراط. * ثلث الحبة = 08 قيراط = 192 قيراط القيراط. * ثمن الحبة = 03 قيراط = 72 قيراط القيراط.

3- الرموز: الحبة ● القيراط • قيراط القيراط

الجدول 3: معلومات الجدول مديرية الفلاحة لولاية أدرار 1986م

الرقم	الوحدة	مقابلها (ل/ث)
01	الحبة	0.234
02	القيراط	0.135
03	قيراط القيراط	2.592

المصدر: زكريا وردة، استعمال المياه الجوفية والآثار المنجزة بمنطقة تمنطيط، رسالة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا

4. رمزيات الحبة:

الحبة	نصفها	ربعها	سدسها	ثمنها
III III	III	I:	I	:
24	12	06	04	03

5- رمزيات القيراط:

القيراط	نصفه	ربعه	سدسه
== ==	=	—	:
24	12	04	03

كل تقسيم بالفقارة بيعا، شراء، أو تحويلا يتم بهذه الرموز (مبروك مقدم، 2008، ص 77).

نلاحظ على الأرض رسم عملية التوزيع من طرف الخبير في إطار العلاقة مع كيال الماء العارف بمحتوى كل ساقية وما تحتويه من حبات الماء، فإذا أمعنا النظر بهذه الأشكال نلاحظ أنها تمثل أجزاء الحبة وأجزاء القيراط وقيراط القيراط ونصف القيراط (:). فبالنظر للجدول المرفقة، نلاحظ تلك العلاقة الثلاثية الكامنة بين (حروف التفنق وحروف تدباكين إشارات ورموز توزيع مياه الفقارة، وعملية حساب (خط الرمل) التي يقوم بها أصحاب التمايم (السحرة) (مبروك مقدم، 2008، ص 15).

الصورة 3: تبين كيفية إجراء عملية ضبط العلاقة بين (الموزع صاحب الحلاقة، والخبير الذي يقوم بإجراء الحساب فوق الرمل، والإمام ماسك (الزمام) المحتوي على كل حبات الماء الجارية بالفقارة، البيع، الشراء، التحويل للمياه. مسجلة بزمام الشاهد المؤتمن عليه



المصدر: حضور إجراء عملية توزيع مياه فقارة بقصر واينة لهذه الدراسة

يتم إجراء التوزيعات بواسطة (الحلافة) يقوم المعلم (الكيال/أو الخبير) بإجراء عملية كيل فقارة عند طلب ذلك، فالعملية تجري نهاية (أغسرو) بفكه من (حجرة التافزة) التي يتم من خلالها إيصال المياه للمشاركين بالفقارة. الصورة أخذت عند إجراء الكيل لفقارة اجدير الشرقي ناحية قورارة.

الصورة 4:



المصدر: حضور إجراء عملية تحويل مياه ساقية للمشارك الجديد

الجدول 4: يرسم حروف تدباكين وما يقابلها من حركات ورموز توزيع مياه الفقارة
المصدر: مبارك بن محمد الملي، 1979، ص119

المصدر: مبارك بن محمد الملي، 1979، ص119
الجدول 5: يضم الحروف الأبجدية للغة التفيناغ.

حروف تفيناغ	رموز توزيع المياه	مقابلها بالعربية ا ة	حروف تدباكين	مقابلها بالعربية
تفيناغ	رموز توزيع المياه	ن ل س	تدباكين ن	رموز توزيع المياه
ا ⊙	ا= قيراط = قيراطان ⊙= الميئات	ن ل س	• : ∴	• = جزء من قيراط = : جزءان من قيراط = ∴ 3 أجزاء من قيراط
⊙	⊙ = حبة	م	⋮	تمثل فتحة مد وقراً (واوا) حركة تؤكد معنى الجيم وتمثل حروف الكاف
⊙	⊙ = حبة	م	⋮	تمثل (ها)

الرقم	الحروف الأبجدية التفيناغية	مقابلها بالعربية	مقابلها برموز الفقارة	مقابلها بالفينيقية	مقابلها بالفرنسية
01		الـ	قراطان		
02	θ	ب	حبة كبيرة	ø	Théta (Th)
03	+	تا	تا		éta (é)
04	⊙	ثا/س			
05	::	خا/حا	ها		
06	u	دا		u	mu (m)
07	⋈	ذ/ز			
08	o	ار			omioron

		مشط	ظا	≡	09
			طا	≠	10
		مشط	ضا	≡	11
		3 أجزاء من قيراط	كا	∴	12
Tot(i)	i		ما	⌋	13
Tau (t)	γ	قيراط	نا	⌈	14
			فا	⌈	15
			شا	8	16
		4 أجزاء من قيراط	ها	⋮	17
		ثمان الحبة	غا/عا	∴	18
		ثمان قيراط	قا	...	19
			جا	⌈	20
Kappa (k)	ι		يا	⌈	21
		جزئان من قيراط	و	∴	22
		جزء جزء من قيراط	أني	•	23
			نن	⌈	24

الجدول 6: يحتوي أمثلة لبعض الحروف بتافيناغ وتدباكين وما يقابلها باللغة العربية

الجدول 6: يحتوي أمثلة لبعض الحروف بتافيناغ وتدباكين وما يقابلها باللغة العربية

الرمز	كيفية نطقه بالعربية
N ∴	إعطني تنطق أواد
⌋	الماء . تنطق أمان
≠ ⌋ +	المرأة تنطق أمطوط
≡	يضحك
⋮	يبكي
⌋ ⌋ ⌋	بارد تنطق
∴ ∴ ∴	نشرب تنطق أسوغ
⌋ ⌋ ⌋ + ⌋ ⌋ ⌋ = ∴	أعطني التلفون
⌋ ⌋ ⌋	الرجل تنطق هلس
⌋ ⌋	الطفل تنطق الياض
⌋ ⌋ ⌋ + ⌋ ⌋	البنيت
⌋ ⌋ + ⌋	الكتاب
⌋ + ⌋	أكتب
⌋ ⌋ + ∴	الهاتف
⌋ ⌋ + 8 ∴	المنزل

السيارة تنطق ترفت	+ o T+
لم تأت	•⊙+ o :
النقود تنطق أزرف	o T
الكبريت تنطق زالميت	+ n]
القرورة تنطق بتل	+ θ
فيها تنطق هانت	+ !
الماء تنطق أمان	]

≡

المصدر: مبروك مقدم، 2008، ص ص 16-20

الصورة 5: تمثل حلالة منطقة تيديكلت تختلف عن خلافتي توات وقورارة. تعتمد على الحبة زريف بخلافة خلافتي توات وقورارة تعتمد في التقسيم على الحبة معبود.



المصدر:

. المحور الثاني: بنيات المجتمع الأدراري

1.3. تعرف البنية لغة: جاءت من فعل بنى يبني بيتا وبنيان، نقول فلان يباني فلانا يباريه في البناء، ومجازا بنى فلانا بأهله دخل بها (أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، 1998، ص 78) والأصل في ذلك البناء والترصيص للقواعد. والبنى نقيض الهدم يقال بناه يبنيه بنيانا بالفتح، وبناه بالكسر والمد، وبنى بالكسر والقصر، وبنينا كعثمان وبنيه وبناية بكسرهما. وابتناه وبناه بالتشديد للكثرة (محمد بن مكرم، 1992، ص 89). والبنى تكون في الشرف وبناء الشرف حملة على المجاز وقيل حقيقة وجعلوا البنية بالكسر بالمحسوسات وبالضم بالمعاني والمجد (محمد مرتضى الزبيدي، 2001، ص 216).

2.3. البنية اصطلاحا: هي ذلك الكيان المكون من أجزاء منتظمة ومترابطة لهذا الحد وذلك لهذه الفترة أو تلك. تربط بينها علاقات انتظامية كما وصف ذلك (نكلاس لومان، 2010، ص 68) يستعمل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا مفهوم البنية لمعان مختلفة وأحيانا متناقضة حسب تناولهم للمجتمع والتنظيم الاجتماعي، يمكن التمييز بين البنى على مستويين: الأول: على مستوى الأشكال الاجتماعية. والثاني: على مستوى التنظيم الاجتماعي. أي المواقع الاجتماعية يعنون هنا نظاما عضويا للحياة الاجتماعية يكون قابلا للنمو وقادرا على الاستمرار في الزمان والمكان (سامي نبيان، 1990، ص 93).

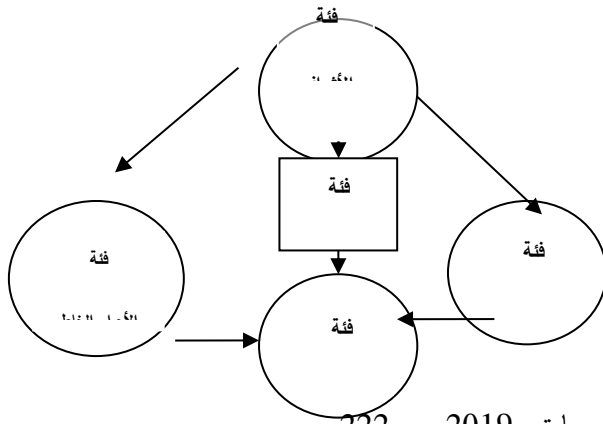
3.3. التعريف الاجتماعي للبنية: من أحد الأطروحات التي صاغها "إميل دوركهايم" وآخرون في القرن الماضي "أن المجتمعات التي تعيش فيها تفرض قيودا وضغوطا على أفعالنا، فللمجتمع اليد الطولي على الفرد لأنه أكبر وأهم بكثير من مجموع الأفعال والتصرفات الفردية"، فالكل أكبر من كل أجزائه" فقد شبه البنية بالموجودة في الطبيعة. تشير المنطلقات الاجتماعية، النفسية، الاقتصادية،

الهيدروولوجية، لنوعية البنى المختلفة داخل حقل الدراسة، فشكلت الأبنية على أساس العرق، المصادر، الجاه، المقدس بالمجتمع بنى علوية وسفلية محكومة. فتدرج البناء لفئات اجتماعية: *فئة الأشراف. *فئة المرابطين. *فئة الأحرار (عرب الخلط). *فئة الحراطين (الحراثين) *فئة العبيد (المنذرثة).

لقد استخلص المجتمع قواعد التمايز، بتفعيل نمطي الفقرة فبنى قواعد السلوك، تنشئية اعتمدت كبنى مادية (الخماسة، الخراصة، المثلثة) تميزا فاستخلص المجتمع نظام:

***الطموح الزواجي**: فيعد فشل وانكسار مقومات بناء المكانة على أساس (ملكية الماء/العقار الفلاحي/النسل المقدس) بدأت بعض الفئات الاجتماعية محاولة التزاوج مع الفئات العليا لتجد لها مكانة خارج مكانتها الأصلية، (تزويج الحرطانية بالشريف والمرابط) فاستبدل المجتمع قواعد الترقى ببناء إطار (التعارض الثنائي) بين نظام الفقرة واستصلاح الأراضي، لمسارعة الفئات اعتماد نظام (الطموح الزواجي) للارتقاء لفئة اجتماعية عليا.

الشكل 4: يظهر انبناء العلاقة التزاوجية بين الفئات الاجتماعية وقطع الحراك بالمجتمع



المصدر: مبروك مقدم، مرجع سابق، 2019، ص222

استخلصنا هذا المجسم، لنبين من خلاله كيفية انفصال العلاقة التزاوجية (قطع الحراك) بين هذه الأبنية الاجتماعية، لأن تفعيل عناصر المكانة يتم على أساس الملك/النسب/الجاه ومن هو خارج هذه الدائرة الرباعية لا يحق له البناء الزواجي مع الفئة الأولى والثانية (الأشراف/المرابطين)، وإن كانتا تتفتحان على كل الفئات. إذ يمثل الحراك الاجتماعي (Social mobility) الدرجة التي يسمح بها المجتمع، ما يشجع أو يجبر أفرادها على تغيير مكانتهم ومستواهم الجغرافي، السكني، الاقتصادي، الاجتماعي، لا للترقى السلمي إنما لبقاء وتوطيد عملية العزل بين الشرائح، وتوجيه قيمها الثقافية. ففي المجتمعات الحديثة، هناك ترتيب تسلسلي للمراكز الاجتماعية، بحيث تزداد امتيازات الثروة، والقوة، والاحترام كلما صعدنا أعلى التسلسل الهرمي، فيستطيع أي شخص الانتقال من مركز اجتماعي أدنى لآخر أعلى اعتمادا على قدراته الذاتية، العلمية وما يكسب من مداخل كأجور مواريث، عقارات،

رأس مال ثقافي، مكانة مرموقة. وهذا الانتقال السلس يصعب تفعيله بالمجتمعات التقليدية لبتير وسائل الانتقال بين مركز وآخر لاعتماد ظاهري التعمية والتجهيل

1. فئة الأشراف: يتم التزاوج فيما بينها (زواج الضو)، وقد تنفتح على فئة المرابطين والأحرار، بينما فئة الحراطين والأحرار يزوجون بناتهم للفئتين للارتقاء بالمكانة المقدسة فالعقل باكتسابية النسب المقدس عملا بنظام (الطموح الزواجي).

2. فئة المرابطين: تتزاوج مع فئة الأحرار لعاملين اثنين: 1. عامل اللونية. 2. عامل قداسي استبرائي. كونها ترتب في المنزل الثانية ضمن سلم البناء الاجتماعي التنظيمي للمجتمع.

3. فئة الأحرار أو عرب الخلط: يمكنها التزاوج من فئة الأحرار والحراطين، فهم أقرب لها يأخذون ويعطون. ويمكنهم التزاوج من فئة المرابطين لأسباب مالية/مادية/لونية/عرقية.

4- فئة الحراطين (الحراثين): تتزوج الفئة من اثنيتهما، وقد ساعد ها الزواج الخارجي المختلط من مدن الشمال الجزائري (وهران، تلمسان، بشار، عين تموشنت، سيدي بلعباس البليدة، الجزائر، سعيدة، ... الخ) لفتح باب الحراك الاجتماعي والتقليل من إكراهات الزمن الماضي وتفاعلات المخيال الاجتماعي. فلم يعد تأثير كبير للمثل الشعبي القائل (الحراطين للحراطينية، والشريف للشريفة). ولا إكراهات وضع أسماء معينة على فئة خاصة كما كان السابق الانفرادية باسم "الشريف/ الشريفة/ مولاي/ مولاتي/ لالة/ لمرايط/ لمرايطه" فقد استخلص المجتمع عناصر بناء المكانة للعب الأدوار لكسر التفاعلات الماضية.

5- فئة العبيد: لم يعد لها وجود على مسرح الأحداث، بقي الاسم وغاب المسمى. غابت الفئة وبقي تقاعها، فهي تأخذ وتعطي لفئة الحراطين، فزواجهم لا يقوم على أساس مادي، بل تقاعلي عرقي. وما يحتفظ به المخيال الاجتماعي يوحي بأن التفاعلات الاجتماعية والتمظهرات لا تزال محتقظة ببعض الأبنية الإكراهية من الزمن الماضي كتفاعل (الله أرد الماء لمجره والعبد لمولاه). فظاهرة الطموح الزواجي عند المرأة (Hypergamy) كانت المعيار الذي يرى المرء المصنف بالبنية الأدنى تزويج ابنته لأسرة تنتمي للفئة الأولى أو الثانية ليتعلق بنسبها بواسطة (أحفاده). يحبز تزويجها لتمتعها بمكانة يراها أفضل من مكانة أسرته، ينادي أحفاده (سيدي مولاي/ ولد سيدي/ الشريف/ ولد الأشراف) كما تفضل المرأة في هذا النوع من الزواج أن تتزوج رجلا مكانته أكثر من مكانتها. بينما الرجل، بهذا النظام لا يسمح له الزواج من امرأة أعلى منه مكانة يشيع (الطموح الزواجي في الهند). ينسجم مع فكرة التدرج الهرمي التي يقوم عليها نظام الطائفة Caste ويظهر بموقف التهادي وما يرتبط بالنظام القرابي (مبروك مقدم، 2019، ص 267).

2: طرق توزيع مياه الفقارة: تعتبر وحدة قياس الأرض في القصور التواتية (القمون) يساوي متر ونصف في مترين ونصف. وتساوي الحبة 24 قيراط، والقيراط يساوي 24 قيراط القيراط، وهي بمقياس مقدار (حبة القمح أو الشعير) تنقسم (لحبة معبود، وحبة زريق)، فحبة المعبود تمثل حبات المياه الأولى للفقارة، وحبة الزريق الناتجة عن الأشغال الإضافية. وعند إجراء التقسيم لا نعتمد الحبات معبود نأخذ بالنفوخ تتم طريقة التوزيع وفق الشروط التالية:

1) وجود "الزمام" يحتفظ به عادة إمام المسجد. 2) وجود جماعة القصر. 3) حضور الكيال مالك (الحلاقة). 4) حضور الخبير. 5) مالكي الماء (المشتري، والبائع، والشهود). ولا يمكن لأي مالك، خراص، خماس، كاري، مشتري الاعتراض على الكيل المحددة بسجل الفقارة (الزمام) الصورة 5: تبين القمون، ابادو، لحواشي، الصليب، التكمال الردة، صرف الماء القمون



المصدر: أخذت من استصلاح وبستان خرصي محمد بأولاد عيسى

3: نظم المكايل/الموازين/الأعيرة:

1) نظم المكايل: تمثل مجموعة من الأدوات تؤمن للفرد أسباب صيرورته، فنظم بذلك مجموعة (عوامل التقنين العرفي) التي تسير نظام المقايضة، من جهة وتوثق نظامي الخماسة والخراسة، مع الإشارة أن الموازين والمكايل، الأعيرة تستعمل عند كراء مياه الفقار وتخريصها، وكراء حبات الماء وتخريص النخيل، وبيع وشراء الأرض البورية (مبروك مقدم، 2008، ص 11). يتمثل نظام المكايل في مجموعة من الأعيرة: 1. وحدة الكيل الأولى (اليد) ثم (الهبة) ثم (المد) ثم (المسطمن) يقدر حجمه بنصف كيلو "رطل".

2. أزقن: يساوي 8 مسطونة أي 4 كيلو غرام. 3. القلبة تساوي 06 أزقان. 4. الغرارة تساوي نصف الحمل أي 06 قلابات. 5. الحمل يساوي 12 قلبة. 6. القصعة تساوي قروين، أو أربع رابعات. 7. القروي يساوي 3 أزقان. 8. الرابعة تساوي أزقن ونصف 12 مسطون اعتمدت لتفعيل نظامي الخراصة والخماسة.

يلاحظ من خلال التدفقات المائية (قوة وضعف الصبائب المائية) هناك اختلافات في التسميات، ففي منطقة بودة مثلا تشكل الوحدات من اصغر وحدة لأكبرها، فالوحدة الأولى هي (الشن) و 2 اثمونة يساون (رابعة) وأربع اثمونة تسمى (ازقن) وأربع ازقان تساوي (قروي) وقروين تساوي (قلبة) وخمس قلابات تساوي قنطار، وكذلك الاختلاف في أحجام المكايل، يرجع ذلك لثلاثة عوامل أساسية هي: قوة امازر (الصبائب) قرب البستان من القصري الكبير، التربة الغنية هذه المكونات تعطينا عند البيع والشراء مكايل صغيرة كمسطمن تيمي ومسطمن تمنطيط الحبوب عامرة. العامل الثاني: يعود لضعف صبائب الفقارة، وبعد الجنان عن العين الأم، كلما كان امازر ضعيف (ونات) كلما كانت المكايل كبيرة لأن الحبوب صغيرة وخاوية العامل الثالث: كلما كانت الفقارة تملك اكبر عدد من الملاك وكان امازر قوي كلما كان سعر الحبة أعلى عند البيع والشراء، وتظهر اختلافات في تسمية الحبة تسمى في بودة (الماجن) وتسمى بتيمي (الحبة معبود) وتسمى في قورارة (بالعود) وتسمى بتيديكلت (الحبة زرق). فالمجتمع تنوع وتعدد في بنياته الاجتماعية والمادية.

2. **نظم الموازين:** لقد كانت وحدة الميزان والكيل (المثال الذهبي) الذي يساوي 24 قيراط أو 24 موزومة، أو خروبة، كان يتم التبادل مع القوافل التجارية القادمة من الساحل، والمغرب. وما يسمى الضهرة (السهوب) كما استعملت (الأوقية الفضية)، فلم يقع تغيير أو اضمحلال هذا النظام إلا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن 20 حيث تم الاستغناء عنه قهرا بحلول النظام الكولونيالي الفرنسي (نظام البايلك) الذي بنا على أساس:

1. اعتماد العمل بالساعة. 2. تلقي العامل أجرته نقدا. 3. اعتماد الميزان بدل المكايل والموازين اعتماد نظام السوق (قانون العرض والطلب) في التعاملات اليومية. فأصبح

للبضاعة قيمة تحسب لمقدار الزمن المصروف لإنتاجها. فأصبح السوق المعيار التقديري للبضاعة وقانون العرض والطلب معتمد بالتبادلات التساوية. استعملت في المرة الأولى أعيرة الحجارة ثم أعيرة أصداف الملح، ثم الأعيرة البنزية، وكانت الاقفاف مصنوعة من جلد الجمل، ثم مادة لقدام (الليف) ثم الأقفاف المصنوعة من سعقف النخيل (الخيص) وأخيرا استعملت الموازين الحديدية بكفتين ولسان ثم ظهرت الموازين الالكترونية الحالية.

3. **نظم الكيل والقياسات:** ساد هذا التقنين الاجتماعي بالمجتمع مدعم بالخطاب الديني، بصور فتاوى تنظم كفايات التعامل به فوحدة الكيل والقياس هنا، تتمثل في:

1. الشبر. 2. الذراع. 3. نصف القامة. 4. القامة. يعتمد التقنين الاجتماعي عند بيع وشراء الأرض البور، والأراضي الفلاحية، يحدد ثمن المقياس بكمية ملكية حبات المياه بالفقارة، وبكمية المنتج، وقوة امازر، وفي مراحل متأخرة كان يتم بالعملة الذهبية، أو الفضية، أو بعملة برونزية. ولا تخرج هذه النظم عما يمكن أن يطلق عليه بنظام التوافق الاجتماعي بين مجموع البنيات. حيث تلعب فيه المقادسات والرموز دورا بارزا في تنظيم حياة الإنسان داخل المجتمع القصورى كالزيارة وأمازها. فالنقطة يكون بواسطة الشاش (الحواق) أو الرزة في بعض الأماكن.

4. **الفقارة والمجتمع:** يلاحظ على المستوى المحلي توثيق العلاقة الترابطية بين نظم الفقارة، الإنسان، المجتمع تم تجسيدها في (مرحلة التطبيع الأسري والاجتماعي) وعندما كانت المورد الرئيسي للإنسان، فلاحا، الحيوان. فقبل ظهور خزانات الماء / الحنفيات مثلت الساقية العنصر الإنساني لبناء التفاعلات الاجتماعية كمحطة لغسل الثياب / لقاء العزاب / جلب الماء الشروب، بواسطة الساقيات أو (عتبة الدار) موردا لحمل المياه للبيوت الخاصة. وكقوة استثنائية لري البساتين الفلاحية. بهذه العلاقة التكاملية أصبحت الفقارة أيقونة اجتماعية، لم يخف وزنها وتفاعلها إلا منتصف ثمانينات القرن العشرين. بظهور نظام استصلاح أراضي البور 1984م وتباين حالة "التماثل الثنائي" بتعايش نظم الفقارة مع (استصلاح الأراضي) لتتغير انبثائية عناصر بناء المكانة باستخلاص المجتمع فئات اجتماعية / مادية / هيدرولوجية جديدة أثناء مرحلة الانتقال والتحول الاجتماعي الذي بناه النظام الجديد، فاندماج الخماسون والخراصون والمثالئون فيه ليبنوا مقومات وادوار

لم تكن ممكنة في السابق، فانبلاج النظام الجديد من رحم النظم القديمة بنى على إكراهاتهم وعجزهم تلبية الحاجات الأساسية للأفراد. فتمثل التحول

بفحوى المثل الشعبي القائل (إلى تقادو لكتاف الشيخ هتاف) بمعنى إذا أصبح الخراص والخماس يماثل مالك العقار القديم تظهر أبنية جديدة حتميا قائمة محليا على اكتساب مكانة ولعب ادوار تمكنها من بناء علاقات خاصة بها. وبالتالي تفعيل أنظمة التواصل وقواعد السلوك المجتمعية.

4. خاتمة

عاش المجتمع الأدراري لفترة كبيرة قابعا بكل مكوناته المادية النفسية الاجتماعية تحت مظلة (السيد) المالك للعقار والماء يبني التفاعلات وفق نظامي الفقارة معتمدا على ظاهرتي "التعمية والتفقير التجهيلي" بتوهم الآخر التثاقف المتأقفة Acculturation يمثل مجموع التحولات التي تطال الفلاح في نمط حياته وتفكيره، واثاقفة تختلف عن التنشئة الاجتماعية Socialition، بينما الاستئصال الثقافي Deculturation أو الإبادة الثقافية في حين الاستئصال أو الإبادة الثقافية هي عملية محو ممنهجة لثقافة الخماس والخراص، أما المتأقفة في الاصطلاح الانثربولوجي تعني جملة التحولات التي تطال النموذج الثقافي الأصلي Patterns of culture للأفراد في أثناء الاحتكاك المباشر والمطررد لنموذج ثقافي مغاير.

فالمسألة الزراعية ببلداننا مسألة مركزية وراهنه باعتبار التطور الاقتصادي الاجتماعي مرهون بما يحدث من تغيير في البنية الاجتماعية/المادية/الزراعية أنماط وأساليب عالم الريف. تشغل غالبية الساكنة التي تعيش بالوسط الريفي فالأحداث الاقتصادية الاجتماعية تعد المنطلق الرئيسي خلال الفترة الأولى للتنمية التي أعقبت الاستقلال، لتجد مخرجاتها في طبيعة النمو الصناعي الذي حدد مجموعة الضغوط والاكراهات المؤثرة في الأدوار المنوطة بالمسألة الزراعية واتجاهاتها بعالمنا الريفي. وما يمكن استخلاصه بمجتمع الدراسة لا يزال يتفاعل بمجموعة من المفاهيم المكرسة للترابعية والانقسامية إنتاجا وإعادة إنتاج، خاصة بفعاليات "الزيارة، أقربيش، الخماسة، الخراصة الفتحة، الفلكلور" تخفى هذه النظم داخلها عوامل الكراهية، الوصم، الانعزال، التهميش، الدونية، العلية، يعول على وسائل التواصل الاجتماعي التخفيف من مضامين الظاهرة الانقسامية في المجتمع الأدراري.

6. قائمة المراجع:

1.6 القرآن والسنة:

1. سورة القمر، الآيتين: 11-12.

2.6 المؤلفات:

2. الجواهري أبو إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، 2001).
3. الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق: محمد حجي ومحمد الخصري، ج/2، (بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983).
4. أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج/1، ط/1، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1998).
5. أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، ج/1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981).
6. إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983).
7. روس إ. دان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، ترجمة: أحمد بوحسن، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2006).
8. روني أروس، الماء الجزائري من الأمبريالية إلى التنمية (1830-1962)، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985).
9. سامي ذبيان وآخرون، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط/1، (دار رياض الرايس للكتب والنشر، 1990).
10. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج/1، (بيروت، لبنان: دار الثقافة، 1963).
11. عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج/7، (بيروت، لبنان: دار الكتاب العلمية، 1996).
12. مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976).
13. مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، (وهران، الجزائر: دار الغرب للطباعة والنشر والتوزيع، 2003).
14. مبروك مقدم، تغير البنيات الزراعية في المجتمع التواتي، ج/3، (بوزريعة، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008).
15. مبروك مقدم، علاقة الأبجدية التفاعلية برموز وإشارات توزيع مياه الفقارة، ج/4، (بوزريعة، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2008).
16. مبروك مقدم، نشأة القصور وعمارة الأرض، (الجزائر: ديوان المطبوعات، 2016).
17. محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية، الجزء الأول، (دار هومة للطباعة والنشر، 2004).
18. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية في المغرب الإسلامي، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984).
19. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، لبنان: دار صادر للنشر والتوزيع، 1992).
20. محمد علي رزقة، الإفلاج (القنوات)، (سوريا، دمشق: دار الحصار، 1999).
21. محمد مرتضى الزبيري، تاج العروس، تحقيق: مصطفى حجازي، ط/1، (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 2001).
22. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل سيكولوجية الإنسان المقهور، (بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، 2005).
23. نكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة: يوسف فهمي حجازي، (بغداد: منشورات الجمل كولونيا ألمانيا، 2010).
24. محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، لبنان: دار صادر للنشر والتوزيع، 2010).

3.6 الأطروحات:

25. مبروك مقدم، رسالة دكتوراه بعنوان البنيات الاجتماعية وإكراهات الوصم مجتمع أدرار أنموذجا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البليدة 2، 2019.
26. مختار باديس، تطور قطاع الري بالجزائر، ولاية أدرار، نموذج مذكرة تخرج من المدرسة الوطنية للإدارة، الدفعة 21، 1986.

27. الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني سلسلة ندوات ومناظرات، 1999.
4.6. المخطوطات:

28. محمد بن أبا المزمري: مخطوطة تحلية القرطاس بالكلام على مسألة تضمن الخماس، بين أيدينا منها ثلاثة نسخ.

29. محمد بن الطيب بن بابا حيدة: مخطوطة القول البسيط في أخبار تمنطيط لدينا نسخا.

30. محمد بن عبد الرحمان البلبالي: مخطوطة غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من المسائل والقضايا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين، بين أيدينا ثلاثة نسخ منها.

31. محمد بن عبد الكريم البكري: مخطوطة درة الأفلام في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام، اللوحة 6.
5.6. التقارير:

32. تقرير مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية لولاية أدرار، 1985.
6.6. المداخلات:

33. مبروك مقدم، تغير البنيات الزراعية في المجتمع التواتي من منتصف القرن 19 لمنتصف القرن العشرين، ورقة مقدمة للملتقى الدولي حول سوسولوجية المجتمعات الصحراوية بين إشكالية الثبات والاندثار بجامعة تونس، 1989.

7.6. مراجع بالفرنسية:

34. A.G.P martin, Les oasis Sahariennes Gourara-Touat-Tidikelt. (Edition Imprimerie Algérienne, 1980).

35. Nadir Marouf, Lecture de l'espace oasis. (Sandbad, 1980).